لِتَخَافُوا اللَّهَ نَامِرًا

بفروع قاعدة الإنباء والدواع

إبراهيم مزور

الألوكة

www.alukah.net

إتحاف الأنام، بفروع قاعدة "الابتداء والدوام".

لناظمه راجي الغفران والرضوان من ربه:
أبو مريم إبراهيم مزوز السباعي الشيشاوي.

مقدمة

وفيها مفهوم القاعدة لغة واصطلاحاً

الحمد لله في الابتداء***** وفي الدوام واهب الآلاء
ثم الصلاة والسلام للنبي***** مرجع من أصل فقه المذهب
وآله وصحبه الكرام***** وقصدنا قاعدة الدوام
وخذ معانياً للفظ القاعدة***** بلغة العُرب تفرز بالفائدة
فللجلوس قد أنت والحبس***** والجعل مع طفق دون لبس
وقد أتت لخشبات الهودج***** قد امتطته صاحبات الفلج
ومعنى صار ثم للأساس***** وذا هو المشهور عند الناس
وذاك لابتناء ذي الأحكام***** عليها كالجدران بالتمام
ومنه: "إذ يرفع إبراهيم***** قواعداً مع ابنه الحليم"
وهذه المعاني للثبات***** ترجع كلها لدى الثقات
وعُرفت في الاصطلاح بعدد***** من التعاريف وجلّها انتقد
فهي لدى (الصدر): "القضايا الكلية"***** وعند سعد الدين "حكم... فادريه
"... كلي انطبق عندهم على***** جزئية لعلم حكم قد جلا"
واستبدلن حكماً لدى الجرجاني***** قضيةً والثمرَ بالنقصان
واذكره واحذف للمحلي "منطبق"***** وما يلي "واحد على هذا النسق
وعبر النجار عنها بـ" صور"***** بدل "حكم" و"القضايا" فيما مر
ورجح الباحثين لفظ "القضية"***** لأن ركنها بهذي مطوية
والعكس للروكي، لفظ "الحكم"***** إذ أسندت للشرع عند القوم

وذي التعاريف فنون العلم ***** عمت ك: "فاعل أتى بالضم"

مفهوم القاعدة في اصطلاح الفقهاء:

والفقه للفهم وعلم ثبتا ***** وفطنة. والعرف بعد قد أتى العلم بالأحكام شرعا وعمل ***** ومن مُفصل الدليل قد نُقل أما القواعد لدى النظّار ***** تأتيك كن لها على انتظار قال المقرّي: وهي "كل كلي ***** أخص من كل معاني العقل بعد الأصول، ومن العقود ***** أعم، والضابطُ" في المحمود قد نبه الروكي عنه قائلا: ***** إنه "ألصق التعاريف" جلا وبعده حمويٌّ ومصطفى ***** كذا يعقوب. وجلّ اصطفي ما قاله الروكي فهو الأجود: ***** "حكم إلى الكل نمي مستند إلى دليل الشرع صيغ صوغا ***** مجردا ومحكما (وبلغا) منطبقٌ للجزء باطراد ***** أو أغلب" خذه بلا انتقاد ومن تأمل بذى الحقائق ***** أدرك ما فيها من الدقائق فبعضهم بالكل فيها وصفًا ***** وبعضهم ذا الكلّ عنها قد نفا وإنما وصفها بالأغلب ***** لذلك حدّ الروكي وحدّه اجتبي لأنه بينهما قد جمعا ***** فاشدد به يديك يا من قد وعى

مفهوم قاعدة الدوام وأقسامها

وهل لتصديق أتت في الطلب ***** ودخلت على الكلام الموجب أما الدوام فهو للسكون ***** ثبت في اللغة والفنون وهو بعرف: ما يجيء تبعا ***** وثانيا ، أصغ لهذا مسمعا وبعده الابتدا وهو مصدر ***** ابتداء الشيء الذي لا يذكر بمعنى أوجده قبل الغير ***** وشرّحه في العرف جا في الإثر وهو الذي ثبت أصلا أولا ***** وعَدّد الصيغ قومٌ نبلا

وهي يغتفر في الثواني***** ما ليس يغتفر في الإبان
وعكسها وبالبقاء عبروا***** في موضع الدوام يا من يُصِر
أوائل العقود قد تؤكِّد***** وذاك في الآخر قد لا يوجد
واندرجت جميعها بـ"التابع"***** قاعدةً مُكمّلة بـ"تابع"
وأقسام الدوام وابتداء***** أربعة تأتيك باستيفاء
وهي: الدوام كابتدا بالجزم،***** أو الأصح خذه يا ذا الفهم
ومثّل الأول بالنكاح***** يقطعه الرضاع في الصّحاح
والثاني كالشفاء من عِلّات***** لمستحاضة لدى الصلاة
ومثله الردة للحجاج***** نعوذ بالله من اعوجاج
وصرح السبكي في الأشباه***** بكثرة القسمين للنبّه
أو الدوام ليس كابتداء***** بالجزم أولاً بالأصح جائي
ومثلوا للجزم بالإحرام***** يطرأ في النكاح خذ نظامي
ولأصح مثلوا بالاقْتدار***** للماء في الصلاة يمضي باختيار
وجاء في الأشباه أن ذين***** دورهما يقل دون مين

تأصيل قاعدة الدوام وأقسامها

وقد حوت قاعدة الدوام***** مع ابتداء: قسمين في الكلام
وهي الدوام كابتدا، والثاني***** ليس الدوام كابتدا، شقان
وأصل الأول بالحديث***** وهو خلع النعل للخبيث
فدلّ ذا أن حصول النجس***** في وسط كالاتداء فائتس
وأصلوه بالقياس للشّبه***** بين الدوم وابتدا لمن نبّه
أما دليل الثان جا في المذهب:***** حديث إلقاء السّلى على النبي
لذا ترجم البخاري لهذا***** فقال في جامعه "باب: إذا
ألقي على ظهر المصلي قدر***** لم تفسد الصلاة" وهو الأشهر

ومثله في غزوة الرقاع**** عن جابر روه بالسماع
 "إذ رجل رُمي بالسهم**** والدم سائل إلى الأقدام
 ثم مضى لدى الصلاة فركع**** ثم هوى إلى السجود ما قطع"

تفريعات القاعدة في الصلاة والحج

وْحُق أن نبدأ - بالتحقيق- **** قاعدة الدوام بالتطبيق
 مقتصرًا على الذي قد ذكرنا**** فقيهننا الزقاق إذ قد حررا
 محاذيا مختصر الشيخ خليل**** وشرحَه مثل مواهب الجليل
 ومثَّل الزقاق باثني عشر**** من الفروع ههنا قد نَشَرا
 منها ثلاثة لدى الصلاة**** أولها: اقتداء ذي العَلَات
 بمثله فصح غيرُ المقتدى**** أتم إن كان البقا كالا بتدًا
 وإن يك الدوام ليس كابتدا**** انفراد المأموم، هذا جُودًا
 والثان: من أحدث وهو يغتسل**** قبل تمام غسله، فقد نقل
 أن الدوام كابتدا لابن أبي زيد، عليه جددن قصدا طُبي
 وعكس هذا الحكم- وهو الأظهر- **** للقابسي في كتبهم قد ذكروا
 وثالث: بدا لمن تيمم**** وبعد أن أكمله وجد ما
 أبطله إن كان الدوام كابتدا**** وليس يبطلُ إن العكس بدا
 ومنها للحج بدا فرعان**** نخصها في الإثر بالبيان
 أولها: من فاته أن يقف**** بعرفات مخطئا أو دنفا
 ثم تراخى تاركًا تحلُّلاً**** لأشهر الحج الذي قد أقبلا
 فليتركن تحللا حتما فإن**** بدا تحلل له بعد الزمن
 مضى التحلل على أن الدوام**** ليس كالاتداء أيها الهمام
 أما على أن الدوام كابتدا**** فما مضى تحلل، ولتزداد
 ثالثها: يمضي تحلل له**** مع إضافة تمتع له

والثان: من أحرم والصيدُ بيد،*****أرسله وزال ملك للأبد
أما على أن البقا لا كابتدا*****أرسله وملكه ما فُقد

تفريعات القاعدة في الأيمان وتقييده بالعرف.

ومنها للأيمان شيخنا ذكر*****فرعا وتحتته اختبت جل الصور
كمن على دخول دار قد حلف*****لست بداخل وفيها قد وقف
أو قال للزوجة إن تحيضي*****أو تطهري فأنت للبغيض
يحث إن كان كالأبتدا البقا*****والعكس لا يحث وهو المنتقى
ومثله الحالف ألا يركبا*****ذوات الاربع عليها ركبا
فلينزلن من فوقها قد قرروا*****أن الدوام كابتدا وشهروا
وقيدوا قاعدة الدوام*****والابتدا بالعرف في الإقسام
لأنه منزل في الأكثر*****على الذي عُرف عند البشر
والشرع قد أقر كل عرف*****إن لم يصادم نصّه بالخلف

تفريعات القاعدة في باب النكاح والشراء والغصب

أما المعاملات جا في المنهج*****فروعها لذا الدوام ما يجي:
وهي ثلاثة فللنكاح*****والغصب والشراء للأرباح
أما النكاح فله جل الصور*****منها الذي أسلم بعد أن كفر
وتحتته من المجوس أو منا*****أهل الكتاب زوجة فلتبنا
ولا تبين إن يك الدوام*****مثل ابتداء قاله الأعلام
كمن تزوج لفقد الطول*****بأمة ثم ثري في الحول
فارقها إن البقا كالأبتدا*****وهاك في الشراء فرعا واحدا
من اشترى زوجة والد له*****أو زوج أمه فهاك حكمه:
إن الدوام كابتدا فلا يُعد*****إذ لا تزوج النساء عبد الولد
ولا الرجال لإماء الولد*****فلا يُقر ذا النكاح أفسد

وبعد ذا المغصوب هل سيضمن ***** بأرفع أم سيراعى الزمن؟
فأشهب ونجل وهب قد رأوا ***** أن الدوام كابتدا لذا علوا
وجل أهل الفقه يوم غصبا ***** رعوا فقط وشهروه مذهباً

تفريعات القاعدة في شبه ما تقدم، ومستثنياتها .

وقد أشار شيخنا بالشبه ***** أن الفروع جملة لا تنتهي
فليقس الطالب ما لم يذكر ***** إن القياس بالقواعد حري
وذكر المنجور فرعين هما ***** ركوب هدي للذي قد سقما
فزال عذره، عليه بالنزول ***** إن الدوام كابتداء يا سؤل
والثان من أحرم والطيب بقى ***** لا فدية إن ابتداء كالبقا
وهاك ما استثنوه من دوام ***** نقلته من كتب الأعلام
كمن رأى القرآن في وسط القدر ***** ولم يُزله، باتفاق قد كفر
ومن زكاةً للجهد أخذاً ***** وما غزا تؤخذ منه هكذا
وابن السبيل كي يسير للبلد ***** ثم أقام فهي منه تُسترد
فهذه فيها الدوام كابتدا ***** فقط، وما يلي بعكس قد بدا
من طراً الحدث في الصلاة ***** عليه، يقطع لدى الثقة
وما له البنا لدى الجمهور ***** ومثله الخبث في المشهور
كذاك ذو فقر زكاةً سلماً ***** ثم ثري فلا يرد فا علما
وليس تجزئ زكاة عجلت ***** قبيل حول بكثير قدمت
وشارع لدى الظهر في الصيام ***** ووجد العبد بعيد الالتزام
فليس بالواجب أن ينتقلا ***** إلى الرقاب بل يتم العملا
والحمد لله على التمام ***** في الابتداء يُحمد والدوام
ثم الصلاة يُتلى بالسلام ***** على النبي صاحب الختام

تمت بعون الله وتوفيقه